

الجائحة تُفقد طموحات التوسع التركي في أفريقيا قوة الدفع

فقدت وتيرة طموحات التوسع التركي في قارة أفريقيا، التي يراهن عليها الرئيس رجب طيب أردوغان لإظهار بلده كقوة فاعلة كما هو الحال مع الصين وروسيا وفرنسا والولايات المتحدة، قوة الدفع بسبب الانعكاسات الهائلة التي خلفها وباء كورونا على الاقتصاد التركي كونه إحدى الأدوات التي تحاول أنقرة تفعيلها لكسب تأييد العديد من القادة الأفارقة.

وفي الوقت نفسه فإن غوش يرى أن هذه الأرقام لا تعكس بشكل كاف اتساع وعمق الوجود التركي في المنطقة، والذي لا يشمل المصالح التجارية والأمنية فحسب، بل يشمل أيضا القوة الناعمة التركية الكبيرة.

وأصبحت أنقرة موردا مهما للأسلحة للقارة، كما أنها تحتفظ بقواعد عسكرية في الصومال والسودان، وتوفر التمويل لقوات مكافحة الإرهاب في منطقة الساحل الأفريقي. بينما تقوم شركات البناء التركية بمد خطوط السكك الحديدية والمطارات، وتسير الخطوط الجوية التركية رحلات إلى وجهات في جنوب الصحراء الأفريقية أكثر من أي شركة طيران غير أفريقية.



بوبي غوش

دول جنوب الصحراء
اكتشفت أن أنقرة
ليس لديها ما تقدمه

كما تساهم المساعدات التركية والمؤسسات الخيرية الدينية في بناء المدارس والمستشفيات والمساجد، بينما تصل المسلسلات التركية إلى جمهور أفريقي أكبر من أي وقت مضى، إلى جانب استعانة أندية كرة القدم التركية بعدد كبير من اللاعبين المحترفين الأفارقة في صفوفها.

ومع ذلك، أكد غوش أن الجائحة كشفت محدودية نفوذ تركيا، فقد اكتشفت دول جنوب الصحراء، أن أنقرة ليس لديها الكثير الذي يمكن أن تقدمه لها في مواجهة التداعيات الاقتصادية.

وعلى عكس الصين والهند وروسيا، لا تستطيع تركيا توفير لفاحات مضادة للفايروس، كما أنها لا تمتلك أموالا ضخمة كتلك التي يمتلكها الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة والصين لمساعدة هذه البلدان المختلة بالديون الهائلة.

وفي ظل اضطرار حكومات الدول الأفريقية لتقليل الاقتراض، وإعادة ترتيب أولويات الإنفاق للتعامل مع التداعيات المستمرة للجائحة، بما في ذلك احتمالات عودة عشرات الملايين من مواطنيها إلى دائرة الفقر مجددا، فمن المحتمل أن تقلص تلك الدول أو جديدة في القارة. كما زار أردوغان نفسه 28 دولة.

وقد تكون التجارة التركية مع أفريقيا جنوب الصحراء ضعيفة بالنسبة لتعاملات دول القارة مع الصين والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة والهند، لكنها نمت إلى أكثر من سبعة أمثالها في أقل من عقدين، لتصل إلى 10 مليارات دولار.

ولكن هذا لا يعني أن تركيا ليست لديها أوراق تلعب بها، إذ لديها حضور عميق فوجودها قوي في الصومال، التي تحمل حكومتها مشاعر الإمتنان لأنقرة التي تدرّب الكثير من العسكريين الصوماليين في القاعدة العسكرية التركية بمقديشو.

كما أن دولا أفريقية عديدة ما زالت تحتاج إلى الخبرة العسكرية والأسلحة التركية لتعزيز قدراتها الأمنية، وفي مقدمتها إثيوبيا التي تحرص على تعميق علاقاتها مع تركيا في ظل فتور علاقاتها بالدول الغربية على خلفية أحداث الحرب الأهلية في إقليم تيغراي.

نيويورك - لا يمكن لشخص مثل رجب طيب أردوغان أن يتجنب الأضواء، ناهيك عن استغلال فرصة للظهور القوي على المسرح العالمي. ومع ذلك، فقد تخلّى الرئيس التركي عن الاحتفالات المهيبة عندما زاره اثنان من رؤساء دول غرب أفريقيا في إسطنبول أو آخر يناير الماضي.

وفي تلك الفترة، عقد أردوغان لقاءاته مع الرئيس السنغالي مكي سال ورئيس غينيا بيساو أمارو سيسكو إيمبالو خلف أبواب مغلقة، دون استعراضات كبيرة كما اعتاد الرئيس التركي القيام به في مثل هكذا مواعيد، لإظهار قدرته على ربط علاقات وثيقة مع بلدان القارة.

ومع ذلك، يرى المحلل السياسي والكتّاب الصحافي الهندي بوبي غوش أنه ربما كان غياب الأبهة عن الاستقبالات الرئيسية في تركيا مؤخرا مقصودا.

وأشار غوش إلى أن علاقات تركيا مع دول جنوب الصحراء الأفريقية والتي كان يتم الترويج لها كدليل على تمدد النفوذ التركي، قد وصلت إلى مرحلة النضوج، بحيث لم تعد زيارات رؤساء الدول الأفريقية إلى تركيا تتطلب أي ضجة، وإنما لأن أردوغان لم يعد لديه الكثير الذي يمكن أن يقدمه لزواره من الرؤساء.

وعلى الرغم من توسع نفوذ تركيا في القارة خلال السنوات الأخيرة من بوابة المساعدات الإنسانية والاستثمارات أحيانا والدعم السياسي والعسكري أحيانا أخرى، فإن جانحة فايروس كورونا أدت إلى الحد من قدرة أنقرة على البناء على طموحاتها الأفريقية.

ويرى غوش، عضو مجلس تحرير وكالة بلومبرغ للأنباء، أنه في ظل المحنة التي يمر بها الاقتصاد التركي، لم تعد أنقرة في وضع يتيح لها تقديم المساعدة التي تحتاجها بلدان جنوب الصحراء الكبرى في الوقت الحالي.

وقد أضعف ذلك قبضة أردوغان في غرب أفريقيا التي تشهد تصاعد المنافسة الفرنسية التركية، على خلفية الصراع بين أردوغان ونظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون.

وقبل تقشي الوباء كانت علاقات أردوغان مع دول جنوب الصحراء الأفريقية أكبر نجاح للسياسة الخارجية للرئيس التركي. فمُنذ وصوله إلى السلطة في 2003، فتحت تركيا 30 سفارة جديدة في القارة. كما زار أردوغان نفسه 28 دولة.

ولذلك كانت تلك الوحدات تفتقر إلى عنصر أساسي في أي عملية لإنقاذ الرهائن: عامل المفاجأة. وكان لرجال حزب العمال الكردستاني ما يقرب من يومين كاملين لاتخاذ قرار بشأن ما يجب القيام به مع الرهائن. وفي ختام القضية، قرر أردوغان اتهام مجموعة من الكيانات بالفشل: أحزاب المعارضة التركية والحزب الموالي للأكراد والساسة الأكراد، وحتى إدارة بايدن التي ينتقدها الرئيس التركي لتعاونها العسكري مع الأكراد السوريين. ولو كانت للقصة نهاية سعيدة، لكان كل الفضل منسوباً له بالتأكيد.

كيف انقلب مشروع إنقاذ الرهائن عند الأكراد إلى نكبة دعائية على أردوغان

الوحدات التركية الخاصة افتقرت لعنصر المفاجأة أثناء العملية



النعوش تزيد إخراج أردوغان

عشر والضباط الثلاثة، والتي تتمحور حول: هل كان الجيش التركي تحت ضغط أردوغان الذي أراد ترويج قصة انتصار معجزة؟ هل كانت الاستخبارات ووقت التحضير كافيين لعملية محفوفة بالمخاطر؟

شواهد ناجحة على تحرير الرهائن

- **1996: تفاوض النائب فتح الله أرباش وأعاد 8 جنود أترك اختطفهم حزب العمال الكردستاني**
- **2013: ضمن حزب السلام والديمقراطية الموالي للأكراد الإفراج عن جنديين أسرها حزب العمال الكردستاني**
- **2014: تفاوضت أنقرة على إطلاق سراح 49 مسؤولا اختطفهم داعش في القنصلية التركية بالموصل**
- **2015: نجحت منظمة إغاثة إنسانية في التفاوض على إطلاق سراح 20 من ضباط الجمارك اختطفهم حزب العمال الكردستاني**

ويؤكد أحمد يافوز، وهو لواء متقاعد، أن "الجيش التركي لم ينفذ مثل هذه العملية من قبل. فبعد الانتظار لمدة ست سنوات للإفراج عنهم، كان بإمكان الحكومة الانتظار لفترة أطول قليلا لضمان ظروف تشغيلية أقل خطورة أو منهجية مختلفة لتحرير الرهائن".

وبحسب بكديل، الرميل في منتدى الشرق الأوسط، يبدو أن هناك عائقا أساسيا، وربما وجوديا، أمام التخطيط التشغيلي، فعلى ما يبدو، وصلت وحدات القوات الخاصة إلى الكهف بعد 38 ساعة من بدء العملية بغارات جوية.

ولذلك كانت تلك الوحدات تفتقر إلى عنصر أساسي في أي عملية لإنقاذ الرهائن: عامل المفاجأة. وكان لرجال حزب العمال الكردستاني ما يقرب من يومين كاملين لاتخاذ قرار بشأن ما يجب القيام به مع الرهائن. وفي ختام القضية، قرر أردوغان اتهام مجموعة من الكيانات بالفشل: أحزاب المعارضة التركية والحزب الموالي للأكراد والساسة الأكراد، وحتى إدارة بايدن التي ينتقدها الرئيس التركي لتعاونها العسكري مع الأكراد السوريين. ولو كانت للقصة نهاية سعيدة، لكان كل الفضل منسوباً له بالتأكيد.

والذين يتمتعون بنفوذ على حزب العمال الكردستاني؟ لكن الأخبار التي تلقاها المتابعون وحتى أردوغان نفسه لم تكن رائعة. ففي وقت مبكر من العاشر من فبراير الماضي، شن سلاح الجو التركي غارات جوية على أهداف محددة في قارا، شمال العراق، حيث أكدت المخابرات أن الرهائن محتجزون في الكهوف. وكانت تلك بداية عملية "مخلب النسر 2".

وبعد ساعتين من الضربات الجوية الشديدة، أرسلت مروحيات تركية العشرات من القوات الخاصة على الأرض. ولم تكن قارا منطقة معروفة، وهو ما مثل عقبة للجنود. إذ كان لا بد من تنفيذ العملية على أرض صخرية وفوق الجبال والمنحدرات وعبر الوديان العميقة التي لم تكن القوات التركية متمرسية فيها. وفي الاستبكات الأولى بعد الهبوط، قتل ضابطان تركيان وضابط صف. وبحلول ذلك الوقت، وصل أكار مع أربعة من قادة القوات إلى مركز عمليات على الحدود التركية العراقية.

وفي اليوم التالي، قال أكار في تصريحات إعلامية إن "48 هدفا من إجمالي 50 ضربت خلال الغارات الجوية مع تحييد 53 إرهابيا (أي قتلوا أو أصيبوا أو أسروا)". ولم يرد ذكر للرهائن.

وفي تلك المرحلة، اعتقد الشعب التركي أن "مخلب النسر 2" كانت مجرد عملية أخرى عبر الحدود ضد حزب العمال الكردستاني. ولم يعلموا أنها كانت عملية إنقاذ رهائن حتى الرابع عشر من فبراير، عندما وصف أكار أهداف العملية بأنها لتدمير الإرهابيين وضمان أمن الحدود و"التدخل لصالح الرهائن".

وخلال إحاطة قدمها رئيس هيئة الأركان التركي، يشار غولر، اطلع شعب تركيا أخيرا على تفاصيل العملية المشؤومة كاملة.

وتكرت معلومات استخباراتية موثوقة أن الرهائن كانوا محتجزين في كهوف في قارا. ولذلك، تدرّبت القوات الخاصة من خلال نماذج تحاكي جغرافية المنطقة المستهدفة واستمرت الاشتباكات بين القوات التركية ومقاتلي حزب العمال الكردستاني يومي 10 و 11 فبراير. وعندما وصلت القوات التركية إلى الكهف الذي كان الجنود الأتراك الرهائن فيه في الثاني عشر من فبراير، استسلم في المساء أحد عناصر حزب العمال الكردستاني ويدعى عثمان أسر (الاسم الرمزي شرفان كوركان) للجنود الأتراك وأبلغهم عن إعدام جميع الرهائن الـ13. وأن هناك سبعة من مقاتلي حزب العمال الكردستاني داخل الكهف.

وبعد حوالي 36 ساعة من إعدام الرهائن الأتراك، أكد الحساب الرسمي أن القوات التركية علمت بمقتل جميع الرهائن، وفي تلك اللحظة، تحول هدف العملية من إنقاذ الرهائن إلى إخلاء الجثث والاعتداء على الوحدات الإرهابية.

ووصف غولر بقية العملية بأنها "سبعة للغاية" في الكهوف المظلمة حيث كانت هناك تحصينات حديدية ومصائد للعبوات الناسفة. وفي النهاية، تم انتشار الجثث بنجاح.

عملية إنقاذ فاشلة

كانت هذه أول أزمة رهائن تنتهي بشكل مأساوي في تاريخ تركيا الحديث، فخلال ربع قرن استطاعت أنقرة أن تتفاوض مع حزب العمال الكردستاني المصنف من منظمة إرهابية في تركيا من أجل إطلاق سراح العديد من الرهائن وثمة العديد من الشواهد على ذلك.

ففي 1996، تفاوض النائب فتح الله أرباش وأعاد ثمانية جنود أترك اختطفهم حزب العمال الكردستاني. وفي 2013، ضمن حزب السلام والديمقراطية الموالي للأكراد الإفراج الآمن عن جنديين تركيين أسرها حزب العمال الكردستاني.

وخلال 2014 تفاوضت الحكومة التركية على إطلاق سراح 49 مسؤولا اختطفهم داعش في القنصلية التركية في الموصل شمال العراق، وفي العام التالي نجحت منظمة إغاثة إنسانية في التفاوض على إطلاق سراح 20 من ضباط الجمارك الذين اختطفهم حزب العمال الكردستاني.

وفي ضوء ذلك، يرى بكديل أنه يجب طرح الأسئلة بعد فقدان الرهائن الثلاثة

يسلط مقتل عدد من أفراد الجيش التركي كانوا رهائن لدى حزب العمال الكردستاني في شمال العراق الضوء على الثمن الباهظ الذي دفعه الرئيس رجب طيب أردوغان في معركته الأضلية ضد الأكراد. فقد احتاج إلى قصة نجاح عسكرية لتبرير أفعاله، لكن مشروع إنقاذهم الذي تم في الخفاء تحول إلى نكبة دعائية وقد حملت أنقرة الأكراد والأحزاب السياسية الكردية وأحزاب المعارضة وحتى إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن مسؤولية تلك الكارثة.

أنقرة - سيذكر الأتراك والأكراد "قضية قارا" باعتبارها لحظة مظلمة في تاريخهم، مع عملية الإنقاذ الكارثية التي كانت تهدف إلى تحرير 13 رهينة كانوا محتجزين لدى حزب العمال الكردستاني في شمال العراق. لكن العملية أسفرت عن مقتل جميع الرهائن وخسارة ثلاثة ضباط أترك.

وكان الرئيس التركي رجب طيب أردوغان يحتاج إلى قصة نجاح عسكري لإظهار قدرته على التفاوض، وكان إنقاذ هؤلاء الجنود مناسبا لذلك، لكن لسوء الحظ، انتهت العملية بفشل ذريع، ويات يبحث عن تبريرات لكي يتنقذ الأتراك وأسر الضحايا بما حصل.

ووجد أردوغان في الأكراد وأحزاب سياسية كردية وأحزاب المعارضة شماعة لتعليق فشله عليها كما لم تسلم إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن من ذلك متعللا بدعم واشنطن للأكراد. وهذا الأسلوب درج الرئيس التركي على استخدامه في كل مرة يجد نفسه في ورطة.

بوراك بكديل

التخطيط للعملية لم يكن كما يجب بسبب الضغوط الداخلية



ويقول الباحث التركي بوراك بكديل في تقرير نشره مركز بيغن السادات للأبحاث الاستراتيجية إن التخطيط للعملية لم يكن كما يجب على ما يبدو. وأرجع ذلك إلى الضغوط التي سلطت على أردوغان وحكومته من طرف السياسيين اليمينيين في تحقيق انتصار لإقناع الجمهور.

تكتّم تركي

خلال سنتي 2015 و 2016، اختطف حزب العمال الكردستاني 13 جنديا تركيا وضابط شرطة وموظفين حكوميين آخرين. وفرضت الحكومة تعتيما إعلاميا على احتجاز الرهائن لتجنب الظهور طرفا ضعيفا خلال سنوات الانتخابات.

ولم يعلم الشعب التركي بعملية الاختطاف إلى أن سال أحد النواب المعارضين عن مصير الرهائن في حوار برلماني، وبحلول الشهر الماضي كان الرهائن منسبين إلى حد كبير، ويقوا في قلوب عائلاتهم وأحبائهم فقط. ثم في الثامن من فبراير، القى الرئيس أردوغان كلمة قال فيها إن "أخبارا رائعة كانت تنتظر الجميع".

وحينها حامت تهنئات حول نهاية سعيدة لازمة الرهائن بعد أن زار وزير الدفاع خلوصي أكار حكومة أربيل، عاصمة إقليم كردستان العراق، وتساءل بكديل الذي يكتب لمعهد غينستون وديفينس نيوز هل كان يضغط من أجل إطلاق سراح الرهائن عن طريق الأكراد العراق الموالين لتركيا

